

التبيان في تفسير القرآن

(391) إلا على النفي والتبديد. واتخاذ الولد: أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له. وكذلك التبني إنما هو جعل الجاعل ابن غيره يقوم مقام ابنه الذي يصح أن يكون ولدا له. ولذلك لا يقال: تبني شاب شيخا، ولا تبني الانسان بهيمة، لما استحال ان يكون ذلك ولدا له، ولا يجوز أن يقال: اتخذه ولدا، اذا اختصه بضرب من المحبة، لان في ذلك إخراج الشئ عن حقيقته كما أن تسمية ما ليس بطويل عريض عميق جسما إخراج له عن حقيقته. ثم اخبر انه كما لم يتخذ ولدا، لو يكن معه إله. وهذا جواب لمحذوف، وتقديره: لو كان معه إله آخر " اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض " وفيه إلزام لمن يعبد الاصنام. وقوله " لو كان فيهما آلهة إلا اﷲ لفسدتا " (1) دليل عام في نفي مساو للقديم فيما يقدر عليه من جميع الاجناس والمعاني. ومعنى " اذا لذهب كل إله بما خلق " أي لا نفرد به ولحوله من خلق غيره، لانه لا يرضى أن يضاف خلقه وانعامه إلى غيره. فان قيل: لم لا يكون كل واحد منهم حكيما، فلا يستعلي على حكيم غيره؟ قلنا: لانه إذا كان جسما وكل جسم محتاج، جاز منه أن يستعلي لحاجته، بل لابد من أن يقع ذلك منه، لانه ليس له مدبر يلفظ له حتى يمتنع من القبيح الذي يحتاج اليه، كما يلفظ اﷲ لملائكته وانبيائه بما في معلومه انهم يصلحون به. ثم نزه نفسه تعالى عن اتخاذ الولد وأن يكون معه إله غيره، فقال " سبحان اﷲ عما يصفون " من الاشراك معه، واتخاذ الولد له. وقوله " عالم الغيب والشهادة " فلذلك يأتي بالحق، وهم يأتون بالجهل. ويحتمل ان يكون معناه إن عالم الغيب والشهادة لا يكون له شريك، لانه أعلى من كل شئ _____ (1) سورة 21 انبياء آية 22 (*)